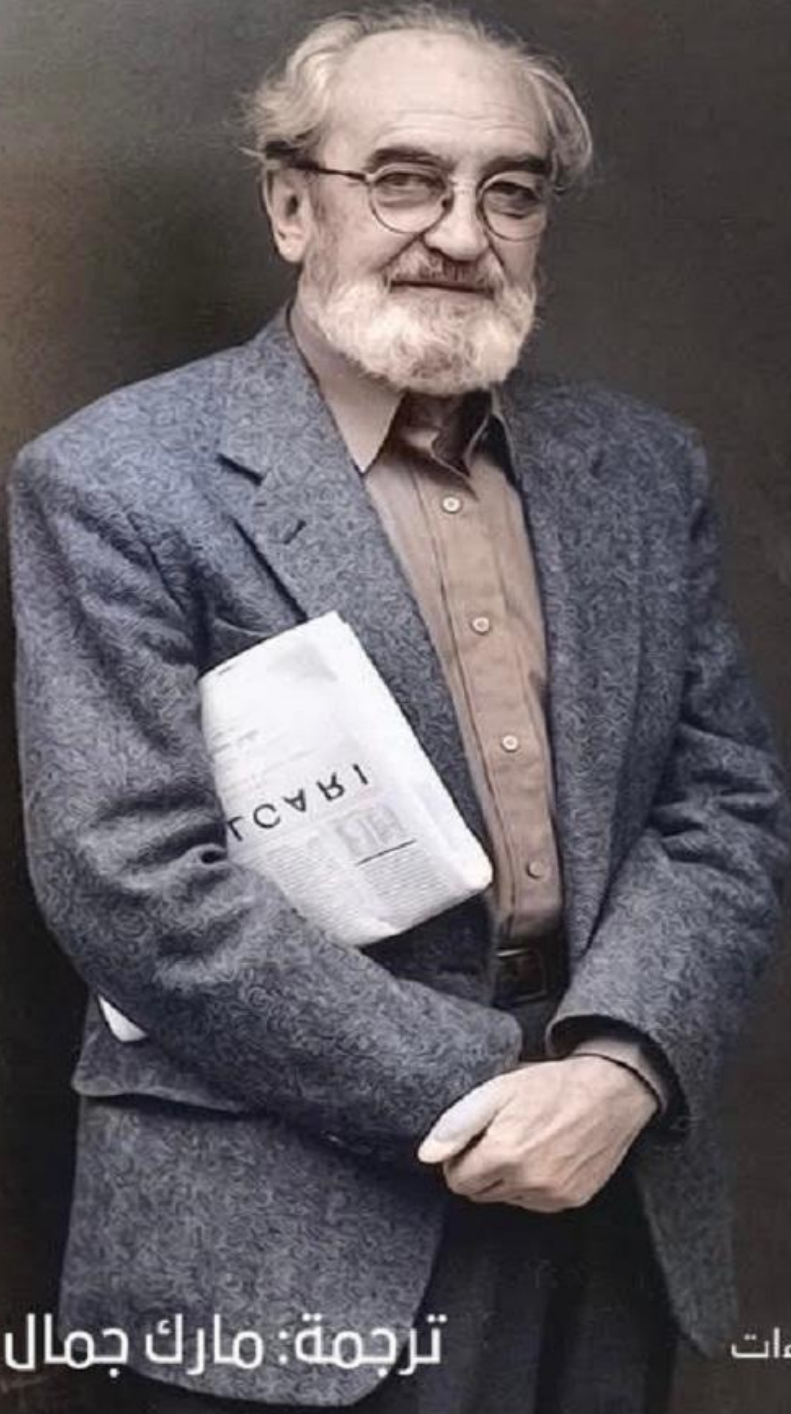


# حتى يكون اسمي أنزل غونثالث

أنزل غونثالث



ترجمة: مارك جمال

منشورات تكوين | نبوءات  
TAKWEEN PUBLISHING



# حتى يكون اسمي أنجل غونثالث

شعر

## أنجل غونثالث

اختارها وترجمها عن الإسبانية مارك جمال

الكاتب: أنجل غونثالث

عنوان الكتاب: حتى يكون اسمي أنجل غونثالث

ترجمة: مارك جمال

X

تصميم الغلاف: حسن لاطوع

تضيد داخلي: سعيد البقاعي

X

ر.د.م.ك: 978-9921-775-23-5

الطبعة الأولى - يوليو/ تموز - 2022

1000 نسخة

X

جميع الحقوق محفوظة للنشر ©

X

منشورات تكوين  
TAKWEEN PUBLISHING

الكويت - الشويخ الصناعية الجديدة

تلفون: 965 98 81 04 40 +

بغداد - شارع المتنبي، بناية الكاهجي

تلفون: 964 78 11 00 58 60 +

✉ takween.publishing@gmail.com

📘 takweenkw

com

📺 takween\_publishing

📺 TakweenPH

# كُلُّ حُبٍّ إِلَى زَوَالٍ

لم تكن امرأةً واحدةً في مثلِ جمالكِ،

مدى اللحظة الخاطفة التي عشقتُكِ فيها:

حياتي بأسرها.

# دونك

دونك،

لا الشعرُ يقول لي شيئًا،

ولا أنا أملك ما أقول له.

إن هما كلمتان،

أدرك مغزاهما، وأنطق بهما،

وأهديك، بكل الحب الذي أملكه:

«لا شيء».

# حقيقة الأكذوبة

فجأة، فاصت عينا القارئ بالدموع

فهمس في أذنه صوت حنون، سائلاً:

«فيم بكاؤك،

وكل شيء في الكتاب أكذوبة؟».

فأجاب:

«أعرف، ولكن مشاعري حقيقة».

# عيد ميلاد

أتنبه كيف أغدو أقلّ يقينًا،

مبهماً،

كيف أذوب في الهواء اليومي،

فإذا بي مُجرّد نُسالة مهترئة من ذاتي،

أبَلتْها الأيادي ومزَّقَتْها.

أدركُ أنني عشتُ عامًا آخر،

وما أقسى أن يختلج القلب

كلَّ يوم

مئة مرة في الدقيقة!

حتى يعيش المرء عامًا

عليه أن يموت مراتٍ كثيرة

ويشبع موتًا.

# مُنْتَخَبٌ بِالْإِجْمَاعِ

أجل، كان ضرباً من سوء التفاهم،

ذلك أنهم صاحوا: «إلى الصناديق!».

فحسبهم يصيحون: «إلى السلاح!».

كما قال لاحقاً.

كان رجلاً عزيز النفس، وأردى قتلى كثر.

بالمسدسات، والبنادق،

والمراسيم.

ولمّا وضع السيِّف في غمده، قال: «إنما الديمقراطية هي الكَمال».

فانطلقت الجماهير في التصفيق.

بينما سكت الموتى، غير أبهين.

«سوف تُلبّي رغبة الشعب».

فبدءاً من هذه الساعة

—صمّث—

سأكون أنا الزعيم، ما دامت هذه رغبتكم.

أما المعترضون، فليرفعوا أصابعهم».

وهكذا،

سلّمت إليه غالبية الموتى،

الذين رقدوا بلا حراك،

سلطةً مطلقةً على المقبرة.

# حتى يكون اسمي أنخِل غونثالث

حتى يكون اسمي أنخِل غونثالث،

حتى يغدو لكياني على الأرض وزن،

كان لا بدّ من فضاء رحيب،

وزمان طويل:

رجال من كل بحر ومن كل أرض،

وأرحام خصبة، وأجساد، فأجساد،

بلا هوادةٍ مضت تنصهر،

في جسد آخر، جديد.

بينما انقلابات الشمس واعتدالاتها

تشرق بضياءٍ متبدل، وسماؤٍ مُتقلّبة،

على رحلة دامت آلاف السنين، رحلة جسدي،

الذي مضى يتسلّق عظامًا،

وقرونًا من الزمان.

أما أنا، فلست سوى

ثمرة العبور الأليم، الوئيد،

ثمرة الهرب حتى النهاية،

إذ نجوت من الغرق،

مُتَشَبِّهًا بأنفاس الموتى الأخيرة،

وأنا لا أعدو أن أكون

بقايا مُتَحَلِّلة وسط الأنقاض.

إن هذا الذي ترون هاهنا،

ما هو إلا: حطامٌ عنيد،

يقاوم الخراب الممتد له،

يناضل في وجه الريح،

يمضي قدمًا

عَبْرَ دروب لا تفضي إلى أي مكان.

إنما هو مُجَمَّلُ الإخفاقات جميعًا

وقد تكلَّلت بالنجاح،

هو قوةُ الوهنِ

وقد أصابها مَسٌّ من الجنون..

# اسمّ يتمادى في الغرابة

أكتبُ اسمي،

فأحسّه يتمادى في الغرابة

يوماً بعد يوم.

ثرى، مَنْ يكون؟

أسائل نفسي،

ولا أدري فيما أفكّر.

أنخِل.

ما أغربه!

# سكت نبضي

سكت نبضي، وانقطعت أنفاسي

حين افترقثُ عنك.

أتنفّس، فإذا الهواء تنهيدة،

والقلب شظايا،

من الوحشة.

لا بالشعور أحسّ غيابك،

وإنما بالجسد.

لا أرنو إليك،

ليس لي أن ألمسك، مهما مددت ذراعي

كأعمى في وجه الريح.

وراء هيئتك كان كل شيء.

غبت، وإذا كل شيء بعدك عدم،

قفار يخيم عليه الضباب،

هناك حيث يتملّكني القنوط.

لم يعد لمرارتي معالم.

تعلّقت عيناى بغيابك،

فرحتُ أتخبّط في كل شيء،

مضيتُ أرح نفسي،

وأنا الأعمى.

# ماذا تعرفين أنتِ؟

ماذا تعرفين أنتِ عمّا كانت حياتي؟

تربن الآن منها السنوات الأخيرة،

ليس إلا،

كمقبض سكين مغروز حتى آخره

في جانبي.

انزعيه دفعةً واحدة،

فيتناثر على وجهك فيض من الأحلام.

حذار! ربما أعمالكِ.

# في حزن الآخرين

أقرأ قصائد الشعر كيفما اتفق،

أقرأ وأنا لا أكاد أفكر فيما أقرأ.

ومتى عثرتُ على بيتٍ حزين،

أحسُّ به في ثنايا روحي

وكانه يربّت عليّ.

لا أرتاح في حزن الآخرين،

لكنني أشعر حينها بوحدةٍ أقل.

# ما دُمتِ أنتِ على قيد الوجود

ما دُمتِ أنتِ على قيد الوجود،

ما دامت عيناى تبحثن عنك

في ما وراء التلال،

ما دام شيءٌ لم يملأ قلبي

إلا أن يكون صورتك،

وما دام أملٌ واهٍ

يحدّثني بأنك على قيد الحياة،

في مكان ما،

يضيء وجهك نوراً.. أيّ نور..

ما دمتُ أحسّ بوجودك،

بأنك تُدعين هكذا،

بذلك الاسم الصغير الصغير،

سوف أظلّ كما أنا الآن،

يا حبيبتي،

تعذبني المسافة،

من أجل ذلك الحب الذي يكبر ولا يموت،

من أجل ذلك الحب الباقي الذي لا ينتهي.

# كنت لي

كنت لي،

وأنت عذب،

أيها العالم المدلل.

أيها الواقع الذي يكاد يكون سحابًا،

كيف انسلت من بين ذراعي!

هأنذا أحس بك الآن من جديد.

لا بنورك، وإنما بقشرك.

أدرك حضورك، الذي لا يخطئه المرء.

.. بما لك من جوانب لاذعة،

وخطوط صلبة،

أيها العالم القاسي على يدي!

# تلك الوحشة

كلُّكم يبدو سعيدًا..

وتبتسمون، في حديثكم،

بين الحين والآخر.

بل إنكم، تتبادلون كلمات الحب.

لكنكم تتحابون اثنين اثنين،

كي تتباغضوا آلفًا آلفًا.

وتشعرون بأطنان من الغثيان،

عن كل ذرة من السعادة،

تبدون بمظهر يشي بها

- لكنه مُجرّد مظهر -

تتكلمون لإخفاء هذي المرارة

التي لا مفرّ منها،

كم مرّة عجزتم!

كما عجزتُ أنا عن مداراتها

أطول مما فعلتُ:

تلك الوحشة العمياء،

العقيمة، طويلة الأمد،

الباعثة على اليأس،

تلك الوحشة التي يبتثها في نفسي شيء،

لا أدري إلى أين،

ببطءٍ.. يشدني.

# ذلك يكفيني

لو كنتُ أنا الرَّبُّ،

لو كنتُ أملك السرَّ،

لصنعتُ كائنًا مثلك،

لجربته (على طريقة الخبازين

إذ يتذوّقون الخبز،

أقصد: بالفم)

لو كان له مذاقك،

عطرك، طريقتك في الابتسام،

في الصمت، في الشدّ على يدي بقوة،

في طبع قبلة على شفّتي

دون أن نتألّم

– واثق من هذا،

وأنا الذي أتنبّه كلّ حين أقبّلك – إذن، فلو كنتُ أنا الرَّبُّ،

لصنعتُ منك نسخةً تلو أخرى،

مماثلةً في كل مرة، مختلفةً في كل مرة،

فلا ملئت اللعبة المطابقة أبدًا،

ولا استخففت بتلك التي كنتها،

من أجل تلك التي إليها تصيرين،

بعد طرفة عين.

ما عدت أدري إن كنتُ أعبرَ عمًا بنفسِي،

لكني، وددتُ لو أوضحتُ أنني

لو كنتُ أنا الرَّب،

لفعلت ما في يدي حتى أكونَ أنا،

أنجل غونثالِت،

حتى أحبِّك مثلما أحبِّك،

وأترقَّب في هدوء،

أن تخلقي نفسكِ بنفسكِ كلَّ يوم،

أن تفاجئي النورَ الوليدَ، كلَّ صباح،

بنوركِ أنتِ،

أن تفتحي الستار غير المحسوس،

الفاصل بين الحلم والحياة،

وتحييني بكلمتك،

لِعَاذِر (1) السعيد،

أنا،

وأنا ما زلتُ غارقًا

في الظلال والكسل،

متفاجئًا، مُتَّحِدًا مع ذاتي،

مُسْتَعْرِقًا في تأمل كل ذاك الذي،

تسترجعين وتخلِّصين،

تحرِّكين وتهجرين،

بعد ذلك، تصمتين..

(أنصتُ إلى صمتك)

أنصتُ إلى كوكبات النجوم: موجودة أنتِ.

أؤمن بكِ.

كأنَّه أنتِ.

وذلك يكفيني.

(1) لعازر: رجل أقامه المسيح من الموت، طبقًا لما جاء في الكتاب المقدَّس. (المترجم)

# لو كنتُ

وددتُ لو كنتُ عشبةً بحريةً،

عشبةً متضافرةً،

عالقةً بأملس رقعةٍ من ربلتَيْك.

وددتُ لو كنتُ دفقةً من النسيم على وجنتَيْك،

رمالاً خفيفةً تحت خطى قدمَيْك،

لو كنتُ ماءً، ماءً مالحاً،

متى ركضتِ عاريةً صوبَ الضفاف،

لو كنتُ شمسًا ترسم الصورة الظليلة

المتساقطة من هيئتِك البسيطة،

هيئة العذراء التي اغتسلت من فورها.

وددتُ لو كنتُ كلَّ شيء، غير محدود،

من حولك أنتِ..

لو كنتُ: منظرًا، نورًا، محيطًا،

نورسًا، سماءً، سفينةً، شراعًا، رياحًا..

لو كنتَ صَدَفَةً،

تَقْرِبِينِهَا مِنْ أذْنِكَ،

فَتَلْمِمْينِ

- عَلَى اسْتِحْيَاءٍ - مِشَاعِرِي،

وَهْدِيرَ الْبَحْرِ.

# الأمل

أيها الأمل،

يا عنكبوت المغيبِ الأسود.

تقف،

بموضع لا يبعد عن جسدي المهجور،

تحوم حولي،

وسريعًا تغزل خيوطًا خفية، غير متناسقة،

تقترب مني، صعبَ المراس،

تكاد تربت عليّ

بظلك الثقيل الخفيف معًا.

رابضًا تحت الأحجار والساعات،

صبورًا، ترقبت وصول هذا المساء،

هذا المساء الذي لم يعد فيه شيء ممكنًا..

هوذا قلبي: عُش لك.

فانهشه أيها الأمل.

# المدينة صفر

ثورةً. فحربٌ.

وعلى مدى هذين العامين

- وهما خمس حياتي آنذاك - عرفتُ مشاعر مختلفة.

لاحقاً، حين صرت رجلاً،

تخيَّلتُ ما كان ذاك الصراع.

أما الطفل الذي كنته،

فالحربُ عنده لم تكن سوى: تعليقَ الدراسة،

وإيسابيل الصغيرة بثوبها الداخلي في جوف القبو،

ومقابرَ السيارات،

وبيوتاً مهجورة،

وجوعاً لا يوصف،

ودماءً مسفوكَةً على الأرض

أو على بلاط الشارع،

والرعبَ الذي يدوم

قدر ما يستمرّ الدويُّ الهشّ

- دويُّ البلور عقب الانفجار -

وألم الكبار الذي كاد يتعدّر فهمه،

ودموعهم، وخوفهم، وغضبهم المكبوت،

تلك الأشياء التي كانت تنسلّ إلى روعي،

عبر ثغرة ما،

لكنها لاحقاً، سرعان ما تتلاشى

في وجه إحدى المعجزات اليومية الكثيرة: كالعثور على رصاصة ساخنة لم تزلّ،

أو اندلاع حريق في بناء قريب،

أو بقايا النهب

- من أوراقٍ ولوحاتٍ

متناثرة على قارعة الطريق -

الآن مرّ كل شيء،

وبات يغشاه الضباب،

عدا ذلك الشيء الذي

كدت لا أدركه آنذاك،

وإذ هو ينبثق مرةً أخرى

في قرارة نفسي بعد مضي أعوام،

ليبقى إلى الأبد:

ذلك الخوف المُبعَثَر،

ذلك السُخْط المُبَاغِت،

تلك الرغبة الحقيقية

غير المُتوقَّعة

في البكاء.

# أغنية ليوم أحد

في الساعة الأخيرة، لم يبقَ شيءٌ: لا أوراق شجر اللبخ

ولا ريح المساء،

ولا البهجة، ولا القنوط.

أما اللمسة القادرة على مداعبة تلك البشرة،

فلم تداعبها، لأنها لم تكن بشرتك أنتِ،

ولا العينان الناظرتان إليّ كانتا عينيكِ،

حتى الرغبة باتت لا معنى لها،

الآن وقد حادت عن مسارِكِ أنتِ،

تلك الرغبة التي كانت،

في زمنٍ آخر،

تكفي.

في الساعة الأخيرة، انقضى النهار،

أحسستُ به وقد صار ظلًّا،

غبارًا، عَدَمًا،

فأدركتُ أن الضياء الذي امتلأت به ساعاتُ النهار

وجميعَ الكلمات التي شغلتَ فمي،

واللغات التي حانت من يدي،

وحتميةَ المساعي،

والشوارع التي قطعْتُ، خطوةً إثر خطوة،

والنبيذ الذي ارتشفْتُ،

والسعادة التي يبثّها في نفسي العلمُ بأنك على قيد الوجود في اللحظة نفسها..

أدركتُ أن تلك الأشياء

ليست مُجرّد إخفاق يتكرّر في يوم الرَّب (2)،

بل هي يومٌ آخر دونك:

وبألم، أدركتُ أنني لن أنعم يوماً،

مهما حييت،

لا بأحاد، ولا آمال،

بمنأى عن عينيك، وبسمنتك،

بعيداً عن حضورك الدافئ الصافي.

(2) يوم الرَّب: يوم الأحد في المسيحية. (المترجم)

# بقايا كل شيء

وددتُ لو كنتُ في مكانٍ غير مكاني،

والأفضل لو كنتُ في جلدٍ غير جلدي،

فأتحقَّق إذا كانت الحياة من هناك،

من خلال عينيَّين أخريين،

تبدو على القدر نفسه من التنافر

في بعض الأمسيات.

كم وددتُ لو عرفتُ الأثرَ الحارق للزمن

في أحشاء أخرى،

وتحققتُ لو كان الماضي

يسقي الأنسجةَ بالعصارة اللاذعة نفسها،

وإذا كانت كل ذكرى،

في كل ذاكرة،

تنبعث منها رائحةُ الثمارِ الذابلة

وأزهارِ الياسمين العفنة.

وددتُ لو أرنو إلى ذاتي

بالحدقتين الصلبتين

لأكثر الناس تشبُّعًا بالكراهية نحوي،

كيما يحطُّم الازدراء

بقايا كل شيءٍ لن يطمره النسيان أبدًا.

# اليوم

اليوم كلُّ شيء يفضي بي إلى نقيضه: فأريج الوردة يطمرني في جذورها،

والصحو يلقيني في نعاسٍ آخر،

أنا موجود،

إذن فأنا في سبيلي إلى الموت.

الآن كلُّ شيء يجري بنظام صارم: فالعقارب تأكل من يدي،

والحمام ينهش أحشائي،

والريح الأشدُّ برودة تلهب وجنتي.

هكذا باتت حياتي اليوم.

أقتات على الجوع،

وأكره من أحبّ.

وحين أخلد إلى النوم،

أجد شمسا وليدة

تلتطخ أجفاني من الداخل

باللون الأصفر.

تحت ضيائها نمضي، أنا وأنتِ،

وقد تشابكت يدانا،

فنعود أدراجنا، ونرجع بالأيام،

ليتسنى لنا الضياعُ أخيراً،

بين طيات العدم.

# موت في النسيان

أعرفُ أنني على قيدِ الوجود

لأنني أُخَيِّلُ إليك.

فارُعُ القوامِ أنا،

لأنكٍ تحسبيني فارعِ القوام.

نقيُّ أنا،

لأنكٍ تنظرين إليَّ بعينِ الرضا،

نظرةً نقيةً.

خاطرُ منكٍ يجعلني ذكيًّا.

وفي حنانك البسيط،

حتى أنا أغدو بسيطًا، طيبًا.

بَيدُ أنكِ، لو نسيَّتني،

بِثُّ وقد طواني الموت،

من دون أن يدري أحد.

لو نسيَّتني،

لرأوا جسدي على قيد الحياة،

ولو كان الرجلُ الساكن فيه

رجلاً آخر،

واجماً، بليداً، كريهاً..

# وداعًا

وداعًا.

حتى نلتقي مرةً أخرى،

أو وداعًا إلى الأبد.

من يدري أيّ شيء قد يكون،

وفي أيّ مكانٍ من الأمكنة التي يغشاها الضباب.

من يدري لو تلمّس بعضنا بعضًا،

كيما يتعرّف أحدنا الآخر.

من يدري لو عرفنا كيف نتبادل القبل

يحدونا إلى ذلك غيابُ الحزن.

ها أنتِ ماضيةٌ بكل شيءٍ مع جسدك.

تمضين بكل شيءٍ،

وغارقًا تتركينني في هذا العدم الرحيب.

آهٍ من تلاشي الجبل

- تتركينني -

وَمِنْ غَرَقِ النُّهْرِ

- هَاهُنَا -

وَمِنْ تَدَاعِي الْمَدِينَةِ!

تَفِيْقِيْنَ مِنْ نَوْمِكِ.

# إنها النوارس

إنها النوارس، يا حبيبتى.

النوارس الوئيدة، الشاهقة.

هوذا بحرٌ من الشتاء.

والماء الرمادي ينثر البردَ على الصخور.

وقدمائك، قدمائك العذبتان،

تسبغان على الموجِ رِقَّةً.

وسماءٌ مُلَطَّخة ترتمي في عرض البحر،

والرياح تطمس جانبًا من تلال الرمل.

والبرك المُضجِرة، برك الملح والبرد،

تنسخ ما لك من أنوارٍ وظلال.

تتعالى صيحةً، في الأعالي،

صيحةٌ لا تبلغ أذنيك،

وأنت مستغرقة في ذاتك.

إنها النوارس، يا حبيبتى.

النوارس الوئيدة، الشاهقة.

# المهزوم

تركتَ الحطامَ وراءك: أنقاض بيتك يتصاعد منها الدخان،

ومواسم صيفٍ مشتعلة،

ودماء يابسة

تنهل منها الريح (آخر النسور).

ها أنتَ ذا تمضي،

في رحلةٍ إلى الأمام،

إلى ذلك الزمن الذي يُدعى المستقبل، كما يليق به.

لأن لا أرض لك،

ولا وطن لك،

لا الآن ولا في أي وقت أتى،

لأن قلبك الخالي

يعجز عن مدّ الجذور

في أي بلدٍ كان.

أنت لا تملك أن تفتح الباب يوماً،

وتقول، لا أكثر من: «طاب صباحك يا أمي»،

بتلك البساطة.

حتى وإن طاب الصباح حقًا.

حتى وإن زخرت بالقمح الأراضى.

حتى وإن مدّت الأشجارُ إليك أغصانًا يُثقلها التعب،

وحبّتك ثمارًا، أو ظللاً،

كي تنعم بالراحة.

# تأملِ أوّل

أصحو، فأجد الحياة هكذا،

السماء مُلبّدة،

والمطر يمسح بلسانه البلّور.

أفتح عينيّ، أرى الشيء نفسه،

أمضي بجسدي، فأقطع المسافة ذاتها،

أبدأ في العيش،

رغم علمي بالإخفاق النهائي الذي أمّنى به

في الساعة الأخيرة.

ربّاه، لو أن تلك هي الحياة،

لو أن تلك هي الهبة التي وهبت لي،

فها أنا أحمدك - «حمدًا لك» -

وأقول: «اجعلها من أجلك

ومن أجل ملائكتك».

يؤلمني الضوء الذي تشرق به عليّ،

وبموسيقاك أُجِنُّ،

موسيقى الطيور.

سماؤك أثقل مما يُحتمَل،

ينوء بها المرء، وينسحق،

سماؤك الخفيضة، الرمادية، وكأنها لوحٌ من حجر.

كل شيء على ما يُرام، أعرف،

وأمرُك مُستجاب.

ولكن أحدهم قد دَسَّ السمَّ في منابع حياتي،

وإذ بقلبي شغفٌ لا جدوى منه،

كراهية عمياء،

عشقٌ حادٌ عن مساره،

بوثقةٌ،

تنصهر فيها المصاعب والمتناقضات.

أما إرادتي، فتمضي قدماً، بلا طائلٍ يُرتجى،

وتتأبر في الصراع الأشدَّ هولاً: أي العيش وكأنك على قيد الوجود.

# أحترفُ العَدَمَ

لقد احترفتُ الهواء الذي،

أودعته في مهبِّ الريح:

فطار وتلاشى،

وغدا الهواء صمتًا.

في عرض البحر،

وأعالي السموات،

احترفتُ العَدَمَ،

وبذلتُ جهدي،

وتوغَّلتُ في الضوء،

وتعمَّقتُ في السرِّ.

بلا طائل يُرتجى الآن،

ولا طائل يُرتجى غدًا:

فأعمالي دخان،

وأفعالي رماد..

وباقٍ فيهما قلبي.

# مُسْتَقْبَلُ آتٍ

ويسمّونك المستقبل الآتي،

لأنك لا تأتي أبدًا.

يسمّونك: المستقبل الآتي،

ويترقّبون منك أن تأتي

كالحيوان الوديع، أن تأكل من أيديهم.

إلا أنك باقٍ

في ما وراء الساعات،

رابضٌ، لا أدري أين.

.. غدًا!

وغدًا يومٌ آخر، هادي،

كالיום، أو الخميس، أو الثلاثاء،

أيّ يوم،

عدا اليوم الذي ما زلنا نترقّبه،

حتى الآن،

وأبد الدهر.

# عيد ميلاد الحب

بأية حال أكون أنا،

متى لم أعد أنا؟

متى بدّل الزمان هيكلي،

وصار لي جسدٌ غير الجسد،

ودمٌ غير الدم،

وعينان غير العينين،

وشعرٌ غير الشعر.

ربما فكّرتُ فيك.

ولكن من المؤكّد أن أجسادي المتعاقبة

- تلك التي تمدّ وجودي، حيًّا،

ماضيًّا صوبَ الموت – سوف تُمرّر ذلك العنصرَ الغامض

من يدٍ إلى يد،

ومن قلبٍ إلى قلب،

ومن جسدٍ إلى جسد..

ذلك العنصرَ الغامضَ الذي،

يبثُّ في أمرٍ حزني متى رحلتِ،

ويحدوني إلى البحثِ عنك،

على عمِّي،

ويأخذني إلى جوارك،

فلا أملك منه فكاكًا: ذلك الذي يسمِّيهِ الناسُ الحبَّ،

إجمالاً.

أما عيناى، فلسوف تمضيان في أثركِ،

بوفاء، أينما ذهبتِ

(وفيمَ يهَمُّ إن لم تعودا

هما هاتين العينيَّين!).

# مجيء يوم جديد

في يوم كهذا، لا تهدروا كلماتٍ معي.

فصوت البشر لا جدوى منه،

إلا أن يلقى أذنًا

راغبةً في تفسيره.

يقول رجل لآخر: «قف».

وربما أوقفه.

أما أنا، فأسائل نفسي: مَنْ ذا يأمر الريح بالسكون؟

مَنْ ذا يأمر البحر بأن يمسك المدّ؟

مَنْ ذا يجمّد حجرًا،

في سبيله إلى السقوط،

بصيحةٍ واحدة؟

مريزٌ كالبحر،

جامح كالإعصار،

لا رادّ له كالحجر في سقوطه: هكذا هو قلبي.

فإليكم عني.

في يوم كهذا، لا شيء ممكن.

ولو أن مصيري هو الذي يشغلکم،

فاصمتوا وترقبوا مجيء يومٍ جديد،

بروح مُعلّقة.

# كلمات كادت تُنسى

أحيانًا، يحس المرء قلبه

مُثَقَّلًا بالشجن،

وتتوارد على باله كلمات عتيقة،

كلمات قُرئت في كتب منسية: «سعادة، سرُّ روح، إلى ما لا نهاية».

تراه المساء،

هو الذي ينشب أظفاره المُسمَّمة في جسد النسيان القاتم

لائدًا بالهرب، ماضيًا صوب الليل

وقد أطبق فمه على لفتة ضبايية،

أغنية ضائعة،

وشريط باهت عاجز

عن شدِّ كل هذه الذكريات

بعضها إلى بعض؟

ولكن كلاً.

في هذه الساعة،

لا ينبع الشجنُ من الأمس

بل من الآن،

من لحظةٍ مضت، لما كنتِ بجواري،

تمرّقين الغبشَ بأسنانِ الطفلة الصغيرة،

وتجتثّين أحزاني من الجذور،

وتغرسين مكانها شجرةً من الفرح.

هوذا الضوء المتلاشي يقفز،

كالحيوان الحائر،

- لعلّه يقفز باحثًا عنكِ -

من نافذةِ الحجرة،

هناك حيث وجهي المهجور،

يسعى لاختراق حجب العتمة: لكن لا شيء في ما وراء الظلّ،

سوى الظلال.

أما في ما وراءكِ أنتِ،

فيرتسم غيابُكِ عمدًا بيتَ الهول في نفسي: وإذ الوقتُ الذي أضطرّ فيه إلى البقاء دونك،

نصلُّ حادُّ يستلّه القدر،

ويحول دوني ودون الأمل.

إنما الحنين إلى المُستقبل غير الموجود

تسليمٌ بالحياة وقد جُرِّدَت من أفضل أيامها.

أما العيش الآن،

فيضاهي العيش في الماضي

عيشًا لم يُفِضِ إلى الموت (مع الأسف).

وهكذا،

يختلط المستقبل والماضي،

فلا يجري الزمن.

وإذا المرء على قيد الوجود،

بلا ذكريات، ولا رغبات،

مثله كمثل ربِّ صغير، تعيس،

لا ذاكرة له،

لأن كل شيء عنده حاضرٌ: كهذي الكلمات العتيقة،

- «سعادة، سرٌّ» -

هذي الكلمات العائدة إلى يديّ اليوم

- منذ متى؟ -

وهأنذا أسطرها

- «.. روحٌ..» -

في غير خزي،

من أجلكِ أنتِ،

لأن كل ما يخطر على بالي

لكِ أنتِ،

- «.. إلى ما لا نهاية» - لكِ أنتِ، أبد الدهر،

حتى أقصى مدى يبلغه إيماني.

# كلمات سدى

في بعض المرات، أمقتُ هذه الحرفة: حرفة جاسوس الكلمات الذي يفتش،

ويفتش،

عن اللفظ المراوغ،

عن القول المُتقلّب،

الذي ينطوي على معنك،

بدقّة.

ساكنٌ أنا في العدم،

على هامش الحياة

(هناك حيث

أغوص في صمتٍ كثيف،

لا يكسره إلاّ النبض المعتم،

نبض دمي)،

أفتش،

وأفتش،

عن تلك الكلمات التي

لا وجود لها

- لعلّ «عنقكِ الشهي..»

يفي بالغرض -

أفتش عن تلك الكلمات التي

تمضي في أثركِ، وتموت،

وهي لم تلمس حتى بشرتكِ،

في حين تصبو نفسي إلى

بلوغِ عنقكِ بفمي،

-.. أو ربما كانت «ابتسامتكِ

المذهلة التي قبّلْتُها» تفي بالغرض -

تصبو نفسي إلى الصعود حتى

أبلغِ ثغركِ بشفتيّ،

وأضمّ رأسكِ براحتي،

وهناك، في قرارة عينيّك،

أرى قبيلِ إغماضِ عينيّ بلحظات،

سلامًا أخضر اللون، وأنوارًا نائمة، وظلالًا صافية،

- ربما كان الأفضل أن أقول: «دخانٌ في المساء»،

«موسيقى الخريف الضبابية الماطرة»،

«ضبابٌ يهب على الوادي بطيئًا» -

أراها تمضي نحوي،

تدور،

تنسلل إليّ،

حتى تغمر صدري،

فترفع قلبي في الهواء ناجيًا،

بمنأى عن الأذى،

فوق رغوة الفرحة الخفيفة.

# سوناتا الغياب

تمرّ الساعات،

ببطءٍ، تُثقل عاتقي،

تمرّ خاليةً منك،

ملأى بذكراك.

وغيابك يمزّق الخيط الذي نُسج منه تاريخي،

مُضيفًا عزلة القبورِ على حاضري،

ليتركني أعزل، بريئًا،

بين تلك المطرقة الثقيلة

مطرقة حبّك البارحة،

وسندان الأمل الواهم الذي يحدّثني بحبّك أبد الدهر.

لا أمسك بدقّة حياتي،

بينما يتراءى المستقبل

غير آمن، عكّرًا، مبهمًا.

أتشبّث بك، وأنت الذي لا تملك حتى ذاتك.

أَتَّكِيْ عَلَيْكَ يَا جِدَارًا وَاهِيًّا،

جِدَارَ مَبْكَايِ الْكَسِيرِ، الْمُثَلَّمِ..

يَا سَدًّا مُشَقَّقًا تَحْبِسُنِي وَرَاءَهُ.

# وما العمل

الآن وقد خوت روعي،  
شأنها في مرات كثيرة،  
أتأمل مرور الأيام البطيء،  
تلك الأيام التي تمضي بي،  
لا أدري إلى أي وجهة معتمة،  
وأنا المتوجس الذي زال عنه الفضول.  
من المضجر  
أن يعرف المرء ولا يعرف،  
أن يخطئ ويصيب.  
حتى اليقين، كثيرًا ما لا يُحتمل،  
بقدر ما لا يُحتمل الريب، والتسليم،  
والتداعي.  
الآن وقد مرَّ الألم،  
وبتُّ آمنًا، ناجيًا،

فهاأنذا أراقب القلق وكأنه أثرٌ يتراعى خلف ظهري،

يذوب في ذلك الوحل الثقيل

العالق بالأحداث اليومية

المُقَدَّر لها النسيان،

قبل أن تصبح ذكرى.

أما لامبالاة المرء في وجه مصيره،

فليست رفقتها خيراً من رفقةِ الهموم.

وأما الابتسامة البادية على وجهي

(متى وَضَعْنَا القدرُ،

يا حَبِّي القديم، وجهًا لوجه)..

تلك الابتسامة لا تشي إلاً بغياب شيءٍ أكثر دقَّةً،

إذ تنمَّ عن فقدان الدموع،

ذلك فقدان الجاف،

الأليم، الذي لا رادَّ له.

# بيدِ مُحِبَّة

بيدِ مُحِبَّة

- متى فرض الليلُ عادته،

عادة الأرق،

وجعل كلَّ دقيقةٍ ذكرى سنوية

لكل حادثٍ وقع في حياتي،

هناك، في الركن الأشدَّ عتمةً

من أركان الهجران -

تجدلُ «أبدًا» و«غدًا»

صليبًا من الظلال،

وتداهمني الذكريات.

فيستلُّ بعضها عينيَّك الخضراوين،

ويلقي بعضها الآخر على ظهري

روحًا بيضاء اللون،

من حلمٍ بعيد آتية،

وبصوت لا يُسمَع،

وشفاه لا ترحم، تلاحقني قائلة: «إما النسيان وإما الحياة!».

أُتعرَّفُ الوجوه.

ولا أسترق الجسد.

أغمضُ عينيَّ حتى أرى بعمقٍ أشد،

فأحسّها تطعنني،

بذلك النصل البارد العتيق: نصل الذاكرة.

# موسيقى ترددها الجدران

ترتد الموسيقى عن الجدران

فتمرّ خلال جسدي،

وكأني لست على قيد الوجود.

ثرائي مُجرّد ذكرى

-جاءت تلبي نداءً لا يغفر-

عائدةً من أقصى أرجاء الحياة؟

لست إلا: موسيقى ترددها الجدران.

ومتي سكتت الموسيقى،

حتى أنا أنطفئ.

# مرثية نقيه

لا شيء يجري هنا،

إلا أن يكون الزمن:

تلك الموسيقى غير المكرورة التي

- بعد أن انطفأت -

يرددها الصدى

في قلب أجوف، مهجور،

يلتقطه أحدهم لحظةً،

ينصت إليه،

ثم يلقيه.

# وكأنه لم يكن

تراه النهار وحسب،

هو ذاك الذي يلفظ أنفاسه الأخيرة

في مساء اليوم؟

والريخ، أي شيء تجرف؟

وأي عطور تنزع؟

فجأة تنفرط أوراق الشجر،

وعلى عمى تحوم في السماء.

تمر الطيور في الأعالي،

وتستبق الضياء الذي به تهتدي.

بينما الإشراقه الكئيبة فَجْرٌ

- يدوم لحظةً وحسب -

في مكانٍ غير المكان.

يحدّرني أحدّهم

مُلُوْحًا براياتٍ من دخان: «أمعن النظر في كل شيء،

فما انقضى ذهب إلى غير عودة،  
وكأنه لم يكن في أي وقتٍ مضى  
المادة سريعة الزوال  
التي نُسجتَ منها خيوط حياتك.»

# ومضى النهار

هوذا الآن يجوب أراضٍ أخرى،  
حاملاً الأضواء والآمال بعيداً،  
زاجراً أسراباً من الطيور النائبة،  
والضوضاء، والأصوات، والنواقيس..  
إنه ذلك الكلب الذي يؤرجح ذنبه،  
نابحاً أمام الأبواب المواربة.  
(وفي تلك الأثناء،  
الليل يتسلل عبْر النافذة،  
كما لو كان قَطاً ينسلّ خلسةً،  
وهناك، رأى بقايا ضوءٍ شاحب، بارد،  
فشرب منه فنجاناً أخيراً).  
أجل، لقد مرَّ النهار،  
فلا أخذ كثيراً، ولا أتى بشيء.  
إن هو إلا قليل من الزمن بين أسنانه،

وسرب خافت من الأضواء الواهنة.

ولكن، لا تبكوا النهار،

فغدًا يعود،

- لا يراودني الشك في ذلك -

وهو الذي لا يفوته ميعاد،

ولا يهدأ له بال.

غدًا يأتي النهار،

فيطرده ذلك القَطّ الأسود،

وينبح،

فلا يصمت حتى أغادر الفراش.

بَيِّد أنه لن يكون مثل سابقه،

بل سيكون نهارًا آخر..

كلبًا آخر،

والسلالة واحدة.

## كلمات نطق بها نقيضُ المسيح (3)

أنا هو الأكذوبة،

والموت،

(أي حقيقة البشر الأخيرة).

أعرف أن لا أمل هناك،

ولكني قلتُ لك: «تحلّ بالأمل»،

قلتها وما لي سوى غايةٍ وحيدة: أن أسمّم الحياةَ

بسمّ الأحلام المميت.

لم تقم قيامةً.

بل إن حجرًا ضخماً

قد أوصد قبوري،

هناك، حيث لم يعد إلا الصمت والظلال.

لم يُعثر على شيء هناك،

إلا الصمت والظلال.

أنا هو الذي لم يكن،

ولن يكون.

وفي الفراغ الخاوي،

أنا الأصداء المشوّشة،

أصداء خوفك.

(3) في هذه القصيدة، يمكن القول بأن الشاعر يقدم «معارضة» لبعض الآيات الواردة في الكتاب المقدس على لسان يسوع المسيح، من قبيل: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ» (يوحنا ١٤: ٦). كما يتجلى ذلك في تعريف المُتكلّم بأنه «نقيض المسيح»، فضلاً عن إشارة الشاعر إلى «قيامه المسيح وقبره»، إلى آخره. (المترجم)

# بتلة إثر بتلة

بتلة إثر بتلة،

حفظ الوردة عن ظهر قلب.

أطال التفكير فيها،

وفي الحلم تنسّمها مرات كثيرة،

حتى رأى وردة حقيقية،

فإذا هو يشيح عنها

وبازدراءٍ يقول:

«كاذبة».

# مادريغال حزين

«ونسيثُ أني قد نسيثُك»

(من أغنية بوليرو (4) غنتها لوليتا دي لا كولينا)

في عينيكَ لمحتُ بريقًا غريبًا،

بعضه عن توجس،

وبعضه عن ارتياح.

أدركتُ مغزاه لاحقًا:

فهو ذكرى نسيانٍ مبالغته.

(4) مادريغال وبوليرو: لوان من ألوان الغناء. (المترجم)

# الفُمتيل

في طور الشباب،

وددتُ أن أعيش في مدينة كبرى.

ولمّا ضاع الشباب مني،

وددتُ أن أعيش في مدينة صغرى.

وهأنذا الآن، أودّ أن أعيش.

# السعادة التي أتحسّر عليها اليوم

ليس ألمًا حقيقيًا،

من تلك الآلام التي تلجم لسان المرء.

بل هو لونٌ مرهفٌ من ألوان الحزن،

لا يعدو أن يكون:

غيابَ السعادة.

# رماد حلم

ذلك الزمن

ما كُنَّا صانعيه،

بل كان هو مُحطِّمنا.

أرنبو إلى الورااء.

ولكن، ماذا تبقي من تلك الأيام؟

بقايا،

حياة محترقة،

عَدَم.

أما التاريخ: فهراء.

# إن هبثُ خيالاتي

إن هبثُ خيالاتي

لم أهبها لأنها من المُخيِّلة

بل لأنها من الذاكرة.

وإن خفتُ موتي

لم أخفه توجُّسًا:

بل خفتُ منه

لأنني أذكره.

# أغنية حزينة لصديق

ما دامت مملكتنا

ليست من هذا العالم (5)،

وما دمنا نعرف يقينًا

أن لا عالم سواه،

فقل لي أي شيء تبقى لنا،

يا صديق؟

قل لي،

أي شيء تبقى لنا؟

حتى الرغبات، لم تبقى لنا

حتى الآمال.

بل إن كومةً فوضويةً

من الأحلام السود

هي ما تبقى لنا،

يا صديق.

كومة فوضوية من لا شيء،

سوى الأحلام،

نقصت حتى صار لها مُتَسَعٌ

بين طيَّات المنديل،

مثل الدموع.

ولكن، كم تُثْقِلُ علينا،

يا صديق،

كم تُثْقِلُ علينا،

كلَّما نقصت.

(5) إشارة إلى ما ورد في الكتاب المقدَّس: «أَجَابَ يَسُوعُ: «مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ. لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ لِكَي لَا أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ. وَلَكِنْ الْآنَ لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا» (يوحنا ١٨: ٣٦). (المترجم)

# أغنية

تلك الموسيقى..

تلجُّ في العزف،

تؤلّم الروح.

لعلّها آتية من زمنٍ بعيد،

من عهدٍ مستحيل،

ضائع إلى الأبد.

تتخطّى حدود الموسيقى.

لها عطر،

قوام،

وكانها غبارٌ شيء لا تعريف له: ذكرى لم يعيشها المرء يوماً،

أمل مبهمٍ عصيّ على التحقيق.

واسمها ببساطة: أغنية.

ولكنها لا تقف هنا.

بل إنها،

فوق ذلك، حزنٌ.

# الآن ما عاد شيء

الفرُّ طويل الأمد،

أما العمر فقصير،

كنصل السكين.

ولكن، الآن ما عاد شيء

يملك الفكك

- ولا حتى الموت الرحيب - من ذلك الحب الذي سيحبك إلى الأبد،

حرًا، طليقًا،

حتى في غيابي،

وكأنه الضباب المتصاعد

من وديان الشتاء العميقة،

عند بزوغ الفجر،

مُتعالياً في فضاء لا تحدّه تخوم.

# حلم أخير

وفي ما وراء هذا الحلم،

لم يعد شيء:

ما هي إلا أرض أخيرة،

هناك حيث أبقى أسيرًا،

وأحلم حتى أفقد الذاكرة.

ومتى لم أحلم،

بات ذلك الرقاد

– الجاف –

الخالي من الأحلام:

هو الحياة.

# لم يُعد شيء مثلما كان

قد قيلت الدموع،

فهياً ننس النحيب

ونبدأ من جديد،

مُتَحَلِّين بالصبر،

فمراقب الأشياء،

لنعثر على الفارق الدقيق،

الذي يفصل بينها،

وبين كيائها البارحة،

ويبتُّ في مجرى الزمان، وأثره.

فيمَّ البكاء على الثمرة الساقطة،

على الإخفاق الذي مُنيت به الرغبة الدفينة،

المُحكِّمة كحبات البذور؟

لا خير في ترديد ما قيل.

ولذا، فبعد أن قيل الكلام،

بعد أن جرت الدموع،

اضْمُتُوا وَابْسِمُوا: إذ لم يُعَد شيءٌ مثلما كان.

ستكون للتاريخ الجديد كلماتٌ جديدة،

ولا بدّ من العثور عليها،

قبل فوات الأوان.

# رسالة

سبتمبر ٢٠٠٠

إلى أعزّ الناس، سوسي (6).

كان ذلك شيئًا لا بدّ منه، في لحظة أو أخرى، فلا أحد يملك منه فكاكًا. يحزنني الموت لسبب وحيد: أنني بموتي لن أعاود رؤيتك. كنتِ أنتِ أحبّ الناس إلى نفسي في هذا العالم، والأكثر أمانةً، ونزاهةً، وطيبةً: كنتِ أنتِ الأفضل.

أشكرُك على كل ما أهديتني من سعادة. تذكّري لحظات السعادة التي عشناها معًا، وعسى أن تعينك الذكريات في هذه الأوقات الحزينة. لا تأذني للحزن بأن يستحوذ عليك. حاولي أن تكوني سعيدة، وأن تبقى فيك تلك الروح الرائعة المفعمة بالبهجة التي طالما تحلّيت بها. لا تفقدي ابتسامتك الرائعة التي تشرق على العالم. افعليها من أجل الحبّ الذي شعرتُ وما زلت أشعر به نحوك الآن وأنا أكتب إليك.

بذلك الحبّ الهائل، أفكّر وسأفكّر فيك أبدًا. إليك قبلة طويلة جدًّا، لا تنتهي.

أنجل

(6) رسالة كتبها الشاعر إلى زوجته سوسانا ريبيرا عام ٢٠٠٠، وتركها في ظرف مغلق طالبًا من زوجته ألاّ تقرأها إلاّ بعد وفاته. علمًا أن الشاعر توفّي عام ٢٠٠٨، أي بعد كتابة هذه الرسالة بثمانية أعوام. (المترجم)

1. الغلاف
2. حتى .يكون اسمي أنخِل غونثالث
3. كُلُّ حَبِّ إلى .زوال
4. ديونك
5. حقيقة الأكذوبة
6. عيد ميلاد
7. مُنْتَخَبٌ بالإجماع
8. حتى .يكون اسمي أنخِل غونثالث
9. اسمٌ .يتمادى في الغرابية
10. سكت نبضي
11. ماذا تعرفين أنتِ؟
12. في حزن الآخرين
13. ما دُمت أنتِ على قيد الوجود
14. كنت لي
15. تلك الوحشة
16. ذلك يكفيني
17. إو كنتُ
18. الأمل
19. المدينة صفر
20. أغنية ليوم أحد
21. بقايا كل شيء
22. إليوم
23. موتٌ في النسيان
24. وداعًا

25. [إنها النواريس](#)
26. [المهزوم](#)
27. [تأملٍ أوّل](#)
28. [احترفتُ العَدَم](#)
29. [مُستقبلٍ آتٍ](#)
30. [عيد ميلاد الحبِّ](#)
31. [مجيء يومٍ جديد](#)
32. [كلماتٌ كادت تُنسى](#)
33. [كلمات سدى](#)
34. [سوناتا الغياب](#)
35. [وما العمل](#)
36. [بيدٍ مُحبّبة](#)
37. [موسيقى ترددها الجدران](#)
38. [مرثيةٌ نقيّة](#)
39. [وكانه لم يكن](#)
40. [ومضى النهار](#)
41. [كلمات نطق بها نقيض المسيح \(3\)](#)
42. [بتلةٌ إثر بتلة](#)
43. [مادريغال حزين](#)
44. [المُمتثل](#)
45. [السعادة التي أتحوّل عليها اليوم](#)
46. [رماد حلم](#)
47. [إن هبّت خيالاتي](#)
48. [أغنية حزينّة لصديق](#)
49. [أغنية](#)

50. الآن ما عاد شيء

51. حلم أخير

52. لم يعد شيء مثلما كان

53. رسالة